تصوير ابو عبدالرحمن الكردي

الجمهورية العراقية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

التاريخ الأوربي الحديث

١٨١٥ - ١٩٣٩

تأليف

الدكتور فاضل حسين

الدكتور كاظم هاشم نعمة

الطبعة الأولى

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

الفصل الثالث

ظهور المبادىء السياسية في اوربا

١٨١٥ – ١٨٤٨

بعد سقوط نابليون كانت الرغبة عامة في السلام . حقق التسوية السلمية في ١٨١٥ المحافظون في الدول الكبرى المنتصرة بريطانيا وبروسيا والنمسا وروسيا ولذلك تمتعوا بشعبية واسعة خلال خمس‌عشرة سنة بعد ذلك،و كانت فترة ١٨١٥ – ١٨٣٠ فترة محافظة .

كانت بريطانيا أكثر اعداء الثورة الفرنسية ونابليون اصرارا ومثابرةوقد ساند الساسة البريطانيون والاموال البريطانية كل ائتلاف اوربي ، وطردت الاسلحة البريطانية الجيوش الفرنسية من أسبانيا وهزمت نابليون اخر الامر في واترلو .

ومع ذلك كان من الصعب أن تخرج بريطانيا منتصرة لولا اختلاف روسيا مع نابليون سنة ١٨١٢، وموقف النمسا الحاسم عشية « معركة الامم» في ١٨١٣ . كانت قوى هذه الدول بريطانيا والنمسا وروسيا وبروسيا مجتمعةهي التي قضت حتماً على الامبراطورية النابليونية . ولذلك كان من حق هذهالدول مبدئياً أن تدير التسوية السلمية .

كانت حكومة بريطانيا حينذاك محافظة وراغبة بصفة خاصة في المحافظة على النظم التقليدية في الداخل والخارج ضد أي احتمال لتكرر الهجمات الثورية ضدها . وبالرغم من أن الملكية البريطانية كانت مقيدة فانها كانت مستعدة للتعاون من أجل الاهداف المحافظة المشتركة مع الملكيات المطلقةفي القارة الاوربية .

كانت النمسا وبروسيا يحكمها المحافظون (الرجعيون) . وكانت روسيا يحكمها قيصر أظهر اعتناقه لبعض المبادىء الحرة ، ولكن قيصرها الكسندر كان غير مستقر بصورة واضحة وربما استخدم الاتجاهات الحرة ذريعةللطموح والعدوان الروسيين .

عصر مترنخ

كان مترنخ مستشار النمسا أقوى شخصية سياسية في اوربا خلال فترة ١٨١٥ – ١٨٤٨، وكانت مبادئه السياسية المحافظة (بل الرجعية) هي السائدة ، بوجه عام ، في اوربا . لذلك اطلق بعض المؤرخين اسم « عصر مترنخ » على تلك الفترة، كما اطلق بعضهم اسم « عصر نابليون » على الفترة التي سبقتها .

كان مترنخ واقعياً وكان عدوا لنابليون وللحركة الثورية التي نشرتها الامبراطورية النابليونية في اوربا . كان يريد اعادة السلام والنظام الاوربيين عن طريق اعادة التوازن الدولي . وكان يرى في التوسع الروسي تهديدا كبيراً لتوازن القوى الاوربية مثل التوسع الفرنسي . لذلك كانت سياسته من ١٨١٠ – ١٨١٣ أن يوقع بين نابليون والكسندر ، فرحب بالحرب التي نشبت بين نابلون والاسكندر في ١٨١٢، وحافظ على حالة الحياد المسلح وكان مستعدا لرمي ثقله إلى الجانب الذي قد يصبح في آخر الامر في مركز يسمح اعطاء النمسا أفضل الفوائد ، ولذلك صار تدخل النمسا العامل الحاسم في « معركة الامم» في تشرين الاول ١٨١٣. وفي حملة سنة ١٨١٤ انهارت امبراطورية نابليون وصارت النمسا ابرز دولة بين الحلفاء المنتصرين. وقد رحب الناس بمترنيخ باعتباره امهر سياسي في عصره واحترمه عاهلا روسيا روسيا وبروسا ، احتفى به تاليران لويس الثامن عشر ،وعندما زار انكلترا رحبوا به ترحيباً حادا . وقد عين اميرا وراثياً للامبراطورية النمساوية.

كان مترنخ يعلم حق العلم بانقسام اوربا بين الثوريين والرجعيين وبين اليسار واليمين .كان مترنخ رجعياً ومقتنعاً تمام الاقتناع في ١٨١٤ – ١٨١٥ بضرورة وجود امبراطورية نمساوية محافظة قوية كدعامة لاعادة توازن القوى اوربا وكسد منيع ضد قوى الثورة .

المبحث الاول

مبادىء المحافظين Conservatism

بعد سقوط نابليون انقسمت فرنسا حول ماجاءت به الثورة الفرنسية من الغاء الحقوق والامتيازات القديمة واخضاع الكنيسة وقطع الصلة بتقاليد الماضي اى الامور الاساسية في الحكم والمجتمع. وقد حدث الشيء نفسه في كل قطر تغلغلت فيه المبادىء الثورية اذ ظهر المؤيدون والمناوئون للفرديةو العلمانية والقومية والحرية والمساواة.

يمكن تقسيم الجماعات المتنافسة تقسيما مناسبا بتسميتها : المحافظين والاحرار. ولكن يجب ان نذكر ان هذه التسميات غير دقيقة وان هناك انواعا مختلفة من المحافظين وكذلك من الاحرار. فالجماعة الاولى تضم الرجعيين المتطرفين الذين ارادوا ارجاع كل شيء إلى ما كان عليه قبل ١٧٨٩. واشخاصاً آخرين، واكثرهم في بريطانيا ونحو ذلك في فرنسا ،حاولوا المحافظة ضد التطرفات اليعقوبية والثورة الفرنسية واقامة نظام دستوري ينسجم مع التقاليد القومية مثل النظام البرلماني الارستقراطي في انكلترا او الملكية المقيدة التي حاولوا اقامتها في فرنسا في اوائل ايام الثورة الفرنسية.

كان تقسيم اوربا بين الحرية والمحافظة كما بدا سنة ١٨١٥ اجتماعيا وجغرافيا. فالملوك والامراء الذين عورضت سيادتهم ، والنبلاء الذين صودرت اراضيهم وامتيازاتهم او هددت بالمصادرة ،ورجال الدين الذين انتهكت عقائدهم او قلصت فعالياتهم فهؤلاء أعمدة ماقبل الثورة الفرنسية كانوا محافظين . أما طبقة الفلاحين التي تؤلف أكثرية شعوب القارة الساحقة . فكانت تتذبذب بين الاطراف المتنازعة كانت لاتزال تحترم سلطة الدولة والكنيسة ومتدينة باخلاص وتشك شكا فطريا بالتعابير اللطيفة على شفاه الاحرار لذلك كان من الممكن في بعض الاحيان والامكنة اعتبارهم محافظين. ولكن كان هناك وجه آخر مهم عارض فيه الفلاحون معارضة عنيدة وذلك هو تأييدهم لمنجزات الثورة الفرنسية الاجتماعية مثل الغاء الاقطاع والقنانة وبها نالوا أراضيهم .

من الناحية الجغرافية يلاحظ المرء على القارة الاوربية انه كلما اتجه غربا واقترب من فرنسا الثائرة يجد النسبة الاكبر من الاحرار ، وبعكس ذلك كلما اتجه شرقاً وابتعد عن فرنسا يجد النسبة الاكبر من المحافظين .

بعد عدة سنوات من سقوط نابليون مارس المحافظون في اوربا نفوذا كبيراً. وقد جدد الوطنيون ولاءهم للملوك الذين ترأسوا الانتفاضات القومية الكبيرة ضد نابليون . وقد انتعشت المسيحية بصورة واضحة ولاسيما الكنيسة الكاثوليكية . فوق كل شيء كان هناك فزع عام من اراقة الدماء والتعاسة التي سببتها الحروب الثورية والنابليونية .

المحافظون في بريطانيا

١٨١٥ – ١٨٣٠

في أواخر أيام حكم تشارلز الثاني في انكلترا انقسمت الطبقة الارستقراطية الحاكمة على نفسها : أيد بعض الارستقراطيين ، ولاسيما الارستقراطيين الزراعيين ملوكية تشارلز الثاني المطلقة ،وطالب بعض الارستقراطيين ولاسيما الارستقراطيين التجاريين ، بتقييد سلطة الملك . أطلق على انصار الملك اسم حزب التوري Tory وعلى خصومه اسم حزب الويك Whig . يمثل حزب التوري المحافظين ويمثل حـزب الويك الاحرار ، وفي ثلاثينات القرن التاسع عشر صار يطلق على حزب التوري اسم حزب المحافظين Conservative party وعلى حزب الويك اسم حزب الاحرار liberal party .

في خلال فترة ١٨١٥ – ١٨٣٠ كانت الاتجاهات في بريطانيا تعني الحفاظ على نظم ومؤسسات الشعب البريطانية والسياسية والاجتماعية المعروفة في القرن الثامن عشر ولم تكن الملكية المطلقة من بينها، ولم يفكر المحافظون البريطانيون في اعادة الحكم المطلق الذي مارسه آل تيودور وآل ستوارت في في القرنين السادس عشر والسابع عشر (أي قبل الثورة المجيدة في ١٦٨٨) بل فكروا بالحفاظ على الملكية المقيدة والبرلمان الارستقراطي وطبقة النبلاء

الزراعية والكنيسة الرسمية (الانكليزية)والحريات التقليدية للفرد الانكليزي . ان الكفاح الطويل الذي قامت به بريطانيا ضد فرنسا الثورية والنابليونية وانتصر في النهاية ساعد على تقوية الاتجاهات المحافظة بين الجماهير الانكليزية ومكن البرلمان الارستقراطي من تشريع قوانين التسييج وقوانين الحبوب والتشريعات الاخرى التي زادت بالنفوذ الاقتصادي والسياسي للطبقات الحاكمة ذات الامتيازات .

من تلك الطبقات كانت جماعة المحافظين التي ادارت الحرب ضد فرنسا وكسبتها ، وقد ارتفعت مكانتها وهيبتها حتى أنها بقيت في الحكم بعض الوقت بعد ١٨١٥ محافظة على نظم ومؤسساتوتقاليد الماضي ومقاومة المطالبة بالتغيير . اشهر زعماء هذه الجماعة هم كاسلري وولنكتن والامير الوصي جورج الرابع. منذ سنة ١٨١١، حين اصيب الملك جورج الثالث بالجنون ثم بالعمى ، انتقلت سلطات العرش إلى ابنه الامير الوصي الذي أيد الاتجاهات المحافظة تأييدا كبيرا .

في ١٨٢٠ توفي جورج الثالث وتولى العرش جورج الرابع، وقد بقي هذا حتى وفاته في ١٨٣٠ من دعاة المحافظين البارزين وايده في ذلك كاسلريه وولنكتن . كان كاسلريه وزيراً لخارجية بريطانيا في وزارة اللورد لفربول (١٨١٢ – ١٨٢٧) من سنة ١٨١٢ حتى انتحاره في ١٨٢٢ وكان صاحب النفوذ الاكبر، ادار السياسة الخارجية وسيطر على مجلس العموم . أماولنكتن فهو القائد الذي ساهم فيدحر نابليون في واترلو، ولم يبرز في السياسة المدنية حتى الفترة التالية لوفاة كاسلريه ولكنه استغل سمعته ومكانته في مساندة قضية المحافظين .

الجماعة المعارضة للمحافظين في بريطانيا :

ظهرت عدة جماعات معارضةللاتجاهات المحافظة وتشريعات المحافظين الطبقية :

١ ــ **الراديكاليون** : وهم من أمثال كودوين Godwin واشهر مؤلفاته البحث عن العدالة السياسية The Enpuiry concerunig Political Justice (١٧٩٣) ، ومنهم توماس بين Paine الذي تأثر بتعاليم الثوار الفرنسيين، وجرمي بنثام Bentham الذي دعا إلى الحرية والديمقراطية . أيد هذه الجماعة صغار اصحاب الدكاكين والحرفيين. وظهرت الدعوة في كتابات بعض الراديكاليين المتطرفين مثل شلي وبايرون، كما ظهرت في كتابات الصحفي وليم كوبت Coddett . هاجم الراديكاليون النظم القائمة ودعوا إلى الديمقراطية السياسية.

٢ ــ **الكاثوليك والبروستنت المنشقون** : كان الكاثوليك محرومين من الحقوق السياسية والمدنية. وعارض البروتستنت المنشقون عن الكنيسة الانكليزية دفع الضرائب من أجل الكنيسة الرسمية ومنعهم من المشاركة في الحياة العامة والدراسة الجامعية .

٣ــ **رجال الصناعة من الطبقة الوسطى** : شرع هؤلاء باستعمال المكائن على نطاق واسع . تأثروا بأفكار جرمي بنثام السياسية ومبادىء آدم سمث الاقتصادية .

٤ ــ **العمال** : سبب استعمال المكائن الجديدة بطالتهم. قاموا باضطرابات ومحاولة تخريب وتدمير المكائن الجديدة وتدمير المعامل الجديدة. حاول العمال تخريب المكائن بوضع الاحذية القديمة داخلها، وقد سمى هذا تخريبا sabotage من كلمة حذاء في اللاتينية . استعمل هذا الاصلاح في القضايا السياسية.

تدابير المحافظين :

وافق البرلمان البريطاني المحافظ على التدابير الشديدة ضد الراديكالية. بعد محاولة اغتيال الامير الوصي في ١٨١٧ اعيد العمل بالقوانين التعسفية القمعية القديمة واوقف العمل بقانون الاحضار Hbeas Corpus الذي

يضمن حرية المساكن والتعجيل بتقديم المتهم إلى المحاكمة، وأعيد العمل بالاعتقال التعسفي والمعاقبة بصورة مؤقتة وقيدت حرية الصحافة. خشي الصحفي الراديكالي كوبت الاعتقال والسجن فأوقف جريدته السجل السياسي Political Register وأبحر إلى اميركا.

وفي سنة ١٨١٩ شرع البرلمان القوانين الستة :

١ — منع القانون الاول ممارسة التمارين العسكرية دون رخصة.

٢ — نص القانون الثاني على المحاكمة السريعة والعقوبة الشديدة ضد المجرمين.

٣ — خول القانون الثالث الحكام اصدار وثائق للتفتيش عن الاسلحة في البيوت الخاصة.

٤ — خول القانون الرابع مصادرة النشرات التي تدعو إلى المعارضة والالحاد ونفي كاتبيها.

٥ — نظم القانون الخامس وقيد حق الاجتماعات العامة.

٦ — أخضع القانون السادس كل المطبوعات التي لا تتجاوز صفحاتها العشرين لقانون الطوابع الخاص بالصحف، وهو قانون يوجب لصق طابع على الصحيفة لكي يزيد ثمنها ويقل الاقبال عليها.

لذلك قام عدد من الراديكاليين المتطرفين في لندن بتدبير مؤامرة كيتو Cato في ١٨٢٠ لاغتيال جميع اعضاء الوزارة، وقد اكتشفت المؤامرة وشنق خمسة من مدبريها.

المطالبة بالاصلاح :

انتعشت حركة المطالبة بالاصلاح وقويت الاتجاهات الحرة في بريطانيا مجدداً وعاد كوبت واعطى قوة جديدة للراديكاليين. ووجد الكاثوليك زعيما لهم وخطيباً مصقعاً في شخص دانييل اوكونيل O'connell . اما الطبقة الوسطى الصناعية التي زاد عددها فقد اشتدت مطالبتها بالتمثيل البرلماني

وبالتشريع المفيد للصناعة الآلية الجديدة وأيدتهم في ذلك الطبقات العاملة في المدن.

ومن جهة ثانية زادت الصعوبات الداخلية والفضائح ووصلت ذروتها في محاولة الطلاق بين جورج الرابع والملكة كارولين Caroline. وكانت آثار ونتائج هذه الصعوبات في مصلحة الاحرار. ثم انتحر كاسلريه في ١٨٢٢ وتحولت دفة الحكم المحافظ وقيادته إلى ايدي وزراء أصغر سناً وأقل تمسكا بالاوضاع القديمة. ومن اشهر هؤلاءجورج كاننكCanning وسير روبرت بيل Peel وكانوا أكثر اهتماما بالتجارة مما بالزراعة ولهم مصالح مع الصناعة الحديثة اكثر من مصالحهم مع الزراعة التقليدية، ولذلك كانوا على استعداد للاتفاق على حل وسط لمطالب الاحرار. مثال ذلك اكد كاننك وزير الخارجية بعد ١٨٢٢، لاسباب تجارية، على سياسة كاسلريه بعدم التعاون مع المحفل الاوربي في القضاء على الاتجاهات الحرة دوليا.

في اواخر ايام حكم جورج الرابع وافق البرلمان المحافظ على بعض قوانين الاصلاح، فحرر البروتستنت المنشقين من القيود السياسية (١٨٢٨) وسمح للكاثوليك بدخول البرلمان واكثر دوائر الحكومة (١٨٢٩).

المحافظون في فرنسا

١٨١٥ — ١٨٣٠

سادت الاتجاهات المحافظة في أكثر أقسام أوربا خلال السنوات التي تلت ١٨١٥ مباشرة وقصد بها المحافظة على ملوكية الحق الالهي المطلقة والمجتمع الطبقي ذي الامتيازات كما كانت قبل الثورة الفرنسية. ولكن الاتجاهات المحافظة التي تمثلت في بريطانيا وفرنسا تختلف قليلا .ففي فرنسا نجدها تضم بعض الرجعيين أنصار الحكم المطلق. وبهذا يتفقون مع الرجعيين في أوربا الوسطى والشرقية، ولكنها في الوقت نفسه ضمت عدداً كبيراً من

الأشخاص الميالين إلى روحية الحل الوسط والراغبين في المحافظة على نظام الحكم الدستوري وبعض الاصلاحات الأخرى التي اقترنت مع المرحلة الاولى من الثورة الفرنسية .

لم يفكر ملوك أوربا الذين استولوا على فرنسا سنة ١٨١٤ تفكيراً جدياً في اعادة الأحوال السياسية والاجتماعية كما كانت قبل الثورة. كان تاليران رجل الساعة في نظر الفرنسيين وكان يريد المحافظة على حدود بلاده ويعتقد أن مواطنيه لايريدون العودة إلى الملكية المطلقة. اتفق تاليران مع قيصر روسيا الكسندر الأول على اعادة آل بوربون إلى فرنسا باسم «الشرعية» بشرط أن يعترفوا باصلاحات الثورة الرئيسة، ووافقت الدول الكبرى على ذلك. وبموجب معاهدة باريس في مايس ١٨١٤ اتفق على أن تعود فرنسا إلى حدود سنة ١٧٩٢.

كان الوريث الشرعي للويس السادس عشر أخوه كرمنت بروفانس، وقد عاد إلى باريس مستخذاً لقب «لويس الثامن عشر ملك فرنسا بنعمة الله». اعتبر بداية حكمة سنة ١٧٩٥ أي منذ وفاة لويس السابع عشر بن لويس السادس عشر ، علم آل بوربون الأبيض بدلا من العلم الثوري المثلث الألوان. ثم منح الشعب دستوراً أكد على الحريات الثورية للفرد وأقام ملكية مقيدة دستورية في فرنسا .

تمثل عودة آل بوربون إلى فرنسا حلا وسطاً Compromise . حاول لويس الثامن عشر التقرب إلى الرجعيين والمحافظين وفي الوقت نفسه حاول تهدئة المحافظين المعتدلين وحتى الاحرار إذ حافظ على اصلاحات نابليون الإدارية والقانونية وبنك فرنسا والكونكورداتو (الاتفاق) مع الكنيسة ونظام التعليم الرسمي ،واعترف بطبقة النبلاء التي أوجدها نابليون على قدم المساواة مع طبقة النبلاء القديمة السابقة للثورة، ولم يتخذ أية خطوة لإعادة القنانة والإقطاع أو القضاء على المنجزات القومية للثورة الفرنسية. وأكد على المبادىء الحرة في الحكم التمثيلي والحرية الدينية والمساواة المدنية.

نشاط الرجعيين ١٨١٥ – ١٨١٦ :

عارض الملكيون المتطرفون الحل الوسط وحاولوا اقناع الملك لويس الثامن عشر بأنه لينه وتساهله لم يمنع مأساة المئة يوم حين عاد نابليون من ألبا . وطلبوا منه الغاء الدستور . ثم انتقموا من الأحرار ، وحدثت الاضرابات واراقة دماء دعيت بالارهاب الأبيض . واعدم المارشال ني Ney من أبرز قادة نابليون وسقط مئات الضحايا .

خلال فترة الارهاب الأبيض جرت انتخابات البرلمان الفرنسي ، جاءت أكثريته من الملكيين المتطرفين ،أكثر ملكية من الملك . ادار البرلمان الجديد شؤون البلاد لمدة سنة بروح شديدة الرجعية . شرعت القوانين لتقييد الصحافة ولاستثناء عدة جماعات من قانون العفو العام ، ولايجاد محاكم خاصة للنظر في قضايا الخيانة. ولالغاء المواد الخاصة بالطلاق من قوانين نابليون .

في ١٨١٦ حل لويس الثامن عشر هذا البرلمان المتطرف وأجريت انتخابات جديدة ، وجاءت الاكثرية من المحافظين المعتدلين ، وصار الملكيون المتطرفون والاحرار إقليتين صغيرتين متناحرتين .

حكم الملكيين المعتدلين ١٨١٦ – ١٨٢٠:

في عهد الملكيين المعتدلين أعيد تنظيم مالية البلاد وجرى اعداد ميزانية سنوية تحتوي على الايرادات والمصروفات المقدرة، وصار تشريع الميزانية جزءاً مهماً من أعمال البرلمان . عقدت القروض لدفع الغرامة الحربية التي فرضها الحلفاء المنتصرون على فرنسا وأدى هذا إلى عقد مؤتمر أكس – لا – شابل في ١٨١٨ وسحب الجيوش الأجنبية من الأراضي الفرنسية. واعترف بفرنسا دولة كبرى ذات حكم مستقر . وشرع قانون جديد للانتخابات ضمن تفوق البرجوازية في مجلس النواب وقد احتوى هذا القانون نظاماً انتخابياً بسيطا ، اشترط دفع (٥٠٠) فرنك بدلا من (١٠٠٠) فرنك سنويا كضريبة مباشرة للحصول على ممارسة حق التصويت . وأخيراً شرع قانون متسامح للصحافة .

حكومة الملكيين المتطرفين ١٨٢٠ – ١٨٣٠ :

في أوائل ١٨٢٠ اغتال أحد الأحرار المتعصبين دوق بري من الاسرة المالكة . وعلى أثر ذلك اعادت موجة الغضب الشعبية الملكيين المتطرفين إلى السلطة، فعادوا فوراً الى سياسة القمع والرجعية . أوقفوا العمل بضمانات الحرية الفردية التي احتواها الدستور ، وأعادوا فرض الرقابة الشديدة على الصحافة ،وعززوا سيطرة رجال الدين الكاثوليك على جهاز التعليم الرسمي. وعدلوا قانون الانتخابات فاعطوا صوتين لكل مواطن يدفع الف فرنك سنوياً كضريبة مباشرة ،وأطالوا فترة اجتماع البرلمان فجعلوها سبع سنوات ، وأقاموا جهازاً للجاسوسية واستعملوه للقضاء على الجمعيات السرية. وبموافقة مترنيخ والدول الأوربية أرسل هؤلاء الملكيون المتطرفون حملة عسكرية فرنسية سنة ١٨٢٣ الى اسبانيا من اجل اعادة حكم الملك البوربوني المطلق الى تلك البلاد .

شارل العاشر ١٨٢٤ – ١٨٣٠ :

هو الكونت أرتوا زعيم الملكيين المتطرفين منذ عودة آل بوربون، خلف اخاه لويس الثامن عشر. كان مؤمناً بالأتحاد بين الكنيسة والعرش، وبأحياء نظم ومؤسسات العهد القديم السياسية والدينية والاجتماعية والفكرية، وكره المبادىء الثورية .

في عهده فرضت قيود جديدة على الصحافة. جعلت العقوبات على الالحاد أشد. وعد المهاجرين بدفع تعويض لهم عن ممتلكاتهم وامتيازاتهم التي صادرتها الثورة الفرنسية بمبلغ نحو مليار فرنك.

اغضب شارل العاشر ، بسياسته الرجعية، الطبقات الوسطى ذات النفوذ والطبقة العاملة الكثيرة العدد وزادت شدة معارضة الاحرار. انتظم رجال الأعمال مع جنود وضباط نابليون السابقين وجماعة اليعاقبة في تجمع ضد سياسة شارك العاشر الرجعية. وفي انتخابات ١٨٢٧ انتقلت الاكثرية البرلمانية

من الملكيين المتطرفين الى الاحرار . فعين شارل العاشر المعتدلين في المناصب الوزارية . ولكن في ١٨٢٩، بالرغم من معارضة البرلمان، سلم رئاسة الوزارة إلى الأمير دي بولنياك Polignac ، وهو حد المهاجرين السابقين ومعروف بالعناد والرجعية . واستمر البرلمان على التصويت بعدم الثقة بالوزارة والتمسك بالحقوق التي تضمنها دستور ١٨١٤ .

في ربيع ١٨٣٠ حل شارل العاشر البرلمان ، فجاءت الانتخابات الجديدة ببرلمان آخر أشد عداء للرجعية مع البرلمان السابق. رد الملك على ذلك في تموز ١٨٣٠ باصدار أربعة مراسيم تعسفية :

١ ــ قيد المرسوم الأول حرية الصحافة تقييداً شديداً .
٢ ــ حل المرسوم الثاني البرلمان المنتخب حديثاً قبل أن يجتمع .
٣ ــ نشر قانون انتخابي جديد جرد ثلاثة رباع المنتخبين من حق التصويت .
٤ ــ حدد المرسوم الرابع أيلول الثاني موعد لاجراء الانتخابات الجديدة .

في يوم نشر المراسيم حرض الصحفيون والناشرون الأحرار مدينة باريس على الثورة المسلحة. حدث قتال في الشوارع لمدة ثلاثة أيام بين اعداد قليلة من القوات الحكومية التي كانت ضعيفة الاستعداد والقيادة. وبين عمال باريس فانتصر هؤلاء العمال. تنازل شارل العاشر لصالح حفيده البالغ من العمر عشر سنوات كونت شامبور Chambord ولجأ إلى انكلترا .

المحافظة في النمسا

كان المجهود الأكبر الذي بذله مترنخ هو أن يجعل النمسا مثالا للدولة المحافظة، وذلك بأن يقضي على الشعور القومي الانفصالي والمبادىء الحرة . فلاجل القضاء على الشعور القومي بين الشعوب المختلفة حبس مترنخ الدعاة الوطنيين وأقام الحاميات العسكرية في مختلف أجزاء امبراطورية هابسبرك من قومية مخالفة لقومية المنطقة. ففي هنغاريا قام حامية كرواتيه وفي النمسا الالمانية حامية جيكية، وفي بوهيميا حامية المانية، وفي المقاطعات الايطالية حامية

مجرية ،وفي غاليسيا البولندية حامية ايطالية. ولأجل مكافحة خطر تسرب الأفكار الثورية من الخارج أقام مترنخ سوراً من التعريفة الكمركية ومن الرقباء حول امبراطورية هابسبرك. ولاجل منع انتشار النزعات الحرة في الداخل فرض رقابة شديدة على الصحافة وعزز الشرطة وأكد على سيطرة رجال الكنيسة في المدارس.

ثم حاول مترنخ السيطرة على ايطاليا والمانيا لكي يقضي على أية حركة سياسية أو اجتماعية قد تنتشر منها إلى النمسا فتعمل على تدمير النظم والمؤسسات التي يدافع عنها.

المحافظة في روسيا

اظهر القيصر الكسندر الاول خلال النصف الاول من حكمه بعض الدلائل عن ميوله الحرة. ثم نصح ملك فرنسا المعاد الى الحكم بان يمنح دستورا لبلاده. واكد على الحريات القومية التقليدية والسلطة البرلمانية في غراندوفينه الجديدة فنلندا. وتعاون مع ازارتورسكي في اعادة تأسيس الدولة القومية البولندية على ان يكون هو ملكا عليها ولكن مع نظام حكم دستوري حر. واصغى مؤيدا تأييدا واضحا لطلبات البارون فون شتاين لاقامة دولة المانية موحدة حرة.

واما بالنسبة الى روسيا نفسها فقد فكر في نشر دستور مدون والغاء القنانة وتشجيع التعليم الشعبي. وشرع فعلا في اصلاح الحكم الفردي بايجاد مجلس استشاري للامبراطورية الروسية، وادخل الاصلاحات التربوية بايجاد بعض مدارس الكنيسة والمدارس الاعتيادية وباعادة تنظيم الجامعات الروسية مثل جامعة موسكو وايجاد جامعات جديدة في سان بطرسبرك وقازان وخاركوف.

بعد ١٨١٥ وقع الكسندر الاول تحت تأثير مترنخ فحول حماسته من الاصلاح السياسي والاجتماعي الى النهضة الدينية والاستعراض العسكري. وقف القيصر الاصلاحات التي بدأها قبل مؤتمر فينا فلم يعد الناس يسمعون شيئا عن الحكم الدستوري للامبراطورية الروسية ولاعن الغاء القنانة.

انتشرت خيبة الامل بين جماعة صغيرة من المثقفين الاحرار، وبصورة خاصة بين ضابط الجيش الشباب الذين تعلموا الشيء الكثير عن المبادىء الثورة الفرنسية خلال حملاتهم في اوربا الغربية . تألفت الجمعيات السرية وانتشرت الدعوة الحرة في روسيا على غرار ماجرى في ايطاليا واسبانيا.

توفي القيصر الاسكندر الاول فجأة في كانون الاول (ديسمبر) ١٨٢٥. فحاولت الجمعيات الثورية القيام بثورة للقضاء على الرجعية. كان القيصر الاسكندر قد اوصى بان يخلفه على العرش اخوه نيقولا مفضلا اياه على اخيه الاوسط الغراندوق قسطنطين. عارضت الجمعيات هذه الوصية وحاولت احداث ثورة بين الجيوش المرابطة في سان بطرسبرك. كان شعار الثورة «قسطنطين والدستور Constautine and Constitution » . ولكن قسطنطين تخلى عن اصدقائه ، ولم يجد نيقولا صعوبة كبيرة في اعادة النظام واعتراف الناس بحكمه . لاجل ان نعرف مدى سطحية الدعوة الحرة في روسيا نذكر ان الكثير من الجنود الثائرين كانوا يعتقدون ان Constitution زوجة قسطنطين . عرف ثوار ديسمبر هؤلاء باسم الديسمبريين ، وقد عاقبهم القيصر الجديد نيقولا عقابا صارما .

كانت فترة حكم القيصر نيقولا الاول (١٨٢٥ — ١٨٥٥) اشد فترة رجعية في تاريخ اسرة رومانوف المالكة. في عهده اقيم المكتب الثالث للجاسوسية «اوخرانا» للقضاء على الحريات والحركات القومية في روسيا وتوابعها كفنلندا وبولندا. في عهده قامت ثورة في بولندا (١٨٣١) قضي عليها بشدة. تحالف القيصر مع السلطان محمود الثاني ضد محمد علي باشا والي مصر بموجب معاهدة معاهدة «هنكار اسكله سي» (١٨٣٣) وحاول ان تكون روسيا حامية للمسيحيين في الدولة العثمانية، وبصفة خاصة في فلسطين وساعد امبراطور النمسا في القضاء على ثورة المجر في ١٨٤٩. وحاول الاتفاق مع انكلترا لاقتسام املاك رجل اوربا المريض (الدولة العثمانية) كما سماها هو فرفضت انكلترا وتمسكت بسياستها في الحفاظ على كيان الدولة العثمانية وادى ذلك إلى نشوب حرب

القرم (١٨٥٣ – ١٨٥٦) التي انتهت باندحار روسيا وتوقيع معاهدة باريس في ١٨٥٦. عاشت روسيا في ظلام دامس في عهده، عدا ظهور الشاعر الروسي العظيم بوشكين الذي نظم «نشيد الحرية» في عهده. ومما يذكر من مناقب هذا القيصر الرجعي ايضا مساندته للثورة القومية اليونانية وظهور الدولة اليونانية الجديدة في الثلث الاول من القرن التاسع عشر ، وكذلك تشجيعه ومساندته للمتحف الروسي العظيم «ارميتاج» في سان بطرسبرك.

المبحث الثاني

مذهب الاحرار

يشير مذهب الاحرار (اللبرالية) إلى مجموعة من المبادىء متميزة ومتماسكة إلى حد ما، ولها مغزى فكري واقتصادي وسياسي ودولي.

فمن الناحية الفكرية كان مذهب الاحرار يعني حرية الفكر والميل لمعاملة الدين كأمر شخصي وتجريد الكنيسة من اي مركز ممتاز في المجتمع.

ومن الناحية الاقتصادية ناصر مذهب الاحرار المبادأة الفردية وحرية التعاقد بين المستخدم والعامل والمنافسة المطلقة في التجارة والصناعة. ولذلك فان مذهب الاحرار تضمن عداء لامتيازات الطبقات الزراعية والاقتصادية وللتعرفة الحامية وللاصناف والنقابات (لانها تشجع الاضرابات او تتدخل في حرية التعاقد)، ولتدخل الحكومة في تنظيم التجارة والصناعة.

ومن الناحية السياسية يرى مذهب الاحرار ان لا تتدخل الدولة في شؤون مواطنيها بل تكتفي بالمحافظة على النظام وحماية الملكية الخاصة. ويطمح مذهب الاحرار إلى حكم دستوري وتمثيلي وبرلماني.

ومن الناحية الدولية دعا مذهب الاحرار إلى السلام وادان الحرب. وايد تقرير المصير للشعوب وناصرها في الحصول على الاستقلال الوطني والحكم الدستوري.

الملكية الحرة في فرنسا ١٨٣٠ – ١٨٤٨

وضعت ثورة تموز ١٨٣٠ نهاية للرجعية في فرنسا، ثم أصبح النظام السياسي الذي حل محلها موضوع نقاش حاد. فقد كان لايزال هناك حزب جمهوري يضم في صفوفه الطلاب والعمال الباريسيين ويتزعمه كودفروا كافانياك Cavaignac وكان هذا الحزب يريد اعادة تأسيس جمهورية ١٧٩٥. ولهذا الحزب مؤيدون قليلون في الريف أو بين الشخصيات البارزة في باريس. وكان هناك أيضاً الأحرار البرجوازيون بزعامة أدولف تيير Thiers وهو

صحفي . ولافييت Lafayette ،وهو من أصحاب البنوك ، وكان هؤلاء مستعدين لقبول الملكية بشرط أن تكون دستورية لامطلقة وأن تسمح لهم بحكم البلاد. وقد اعتمدوا على تأييد جميع الفرنسيين الذين يريدون النظام والحرية .

كاد يحدث صدام مسلح بين الحزبين في وقت من الأوقات ، ولكن منع ذلك لافاييت Lafayette الذي تقدم به العمر ، إذ ظهر على المسرح السياسي واستعمل نفوذه لاقناع الجمهوريين بقبول مشروع الملكيين الأحرار تضمن هذا المشروع أن يرتقي عرش فرنسا لويس فيليب دوق أورليان بموافقة الشعب . وهذا الامير هو أحد أعضاء أسرة بوربون وهو ابن فيليب ايكالتية الذي صوت في المؤتمر الوطني على أعدام لويس السادس عشر ، وكان المعروف عنه أنه لم يؤيد مبادىء آل بوربون التقليدية . أما لويس فيليب فقد اشترك بثورة ١٧٨٩ ، وكان حاضراً عند سقوط الباستيل، وانضم إلى نادي اليعاقبة وتولى منصباً عسكرياً في عهد الجمهورية ، وقاتل في فالمى وفي الاراضي المنخفضة في عهد الارهاب اليعقوبي وبعد اعدام والده غادر فرنسا وتعلم دروساً في الاعتماد الشديد على النفس خلال فترة منفاه الطويلة في أوربا وأميركا ، وفي الايام الأخيرة تقرب إلى الطبقة الوسطى إذ أرسل أبناؤه إلى مدارس الطبقة الوسطى وأظهر تأييده لاراء فولتير وروسو .

في أوائل آب ١٨٣٠ وافق لويس فيليب على دعوة البرلمان لكي يصبح «ملك الفرنسيين» . وقد حل العلم المثلث الالوان فوراً محل علم آل بوربون ، وحلت نظرية السيادة الشعبية محل ملوكية الحق الآلهي . ولكن أهم نتيجة من نتائج ثورة تموز ١٨٣٠ في فرنسا هي انتصار البرجوازية.

عهد لويس فيليب ١٨٣٠ — ١٨٤٨

نقلت ثورة تموز ١٨٣٠ في فرنسا السيطرة السياسية من الارستقراطية إلى الطبقة الوسطى ومن الاتجاهات المحافظة إلى الاتجاهات الحرة (اللبرالية) وقد أطلق على لويس فيليب لقب الملك البرجوازي .

جعل نظام الحكم في فرنسا على غرار مافي بريطانيا: ملك يتولى ولا يحكم ، وبرلمان يمثل الشعب نظرياً ولكن تنتخبه أقلية صغيرة من الشعب ووزارة مسؤولة أمام البرلمان. كانت الطبقة الحاكمة الجديدة في فرنسا برجوازية أكثر مما في بريطانيا .

اشتهر من وزراء الملكية الحرة البرجوازية فرانسوا كيزو Guizot وأدولف تيير Thiers . وكلاهما ينتسب إلى الطبقة الوسطى وطموح وعصامي وكلاهما كتب مجلدات في التاريخ وكلاهما لبرالي. كان كيزو بروتستنتيا معارضاً للحركات الشعبية كتلك التي حدثت في فرنسا في ١٧٩٣ ، وكان معجباً جداً بالنظم والمؤسسات السياسية والاقتصادية والدينية المعروفة في انكلترة الطبقة الوسطى واللبرالية. كان تيير أكثر حرية فكرية وأكثر انتهازية ،تدرب على السياسة على يد تاليران، وكان لايثق بالجماهير، وكان معارضاً للحكم التعسفي ومتمسكاً بفلسفة القرن الثامن عشر الحرة، ومبالا لعظماء التاريخ ولا سيما نابليون بونابرت. كان تيير اشهر الوزراء (١٨٣٢ — ١٨٣٦) ورئيساً للوزراء (١٨٤٠) . وكان كيزو وزيراً للتربية (١٨٣٢ — ١٨٣٩) ورئيساً للوزراء (١٨٤٠ — ١٨٤٨) .

شجع نظام حكم لويس فيليب الصناعة إذ شجع استيراد المكائن من انكلترا وتأسيس المصانع والمسابك في فرنسا ، وعهد الى شركة انكليزية ببناء سكة حديد من باريس الى لوهافرو ووضع خطة لبناء شبكة كاملة من السكك الحديد .

شجعت الحكومة المبادأة الفردية والتشبث الفردي . وكانت سياسة عدم التدخل هي سياسة التي اتبعتها الحكومة نحو الصناعة وجمع الثروة .

وشجعت الحكومة التربية والتعلم . ترك القانون الكنيسة حرة في ادارة المدارس الابتدائية ولكنه عزز سيطرة الدولة على المدارس الثانوية .

في السياسة التجارية لم تكن الملكية البرجوازية ميالة الاتجاهات اللبرالية كل الميل . كانت الصناعة الآلية في فرنسا ناشئة لاتستطيع منافسة الصناعة الآلية القوية في بريطانيا أو في بلجيكا . ولذلك لم تحدث الحكومة اي تغيير في نظام التعرفة الحاميـــة .

كانت سياسة فرنسا الخارجية على الأغلب منسجمة مع السياسة الخارجية البريطانية . فبالتعاون مع بريطانيا ساعدت فرنسا على اقامة مملكة بلجيكا المستقلة ، وعلى ايجاد ملك حر لدولة اليونان القومية الجديدة ، وعلى مساعدة الفئات الحرة في اسبانيا والبرتغال ، وعلى المحافظة على الوضع القائم في الشرق الادنى ضد قيصر روسيا من جهة وضد محمد علي باشا والى مصر من جهة ثانية ، وفي عهد لويس فليب تم استيلاء فرنسا على الجزائر .

الجماعات المعارضة لحكم لويس فيليب :

كان في فرنسا خمس جماعات ، على الاقل ، تعارض الحكومة :

١ — **دعاة الشرعية :** وتضم هذه الجماعة اشخاصا كثيرين من طبقة النبلاء القديمة وعددا من رجال الدين الكاثوليك وبعض الفلاحين وبعض المثقفين كانوا يعتبرون لويس فليب مغتصبا للحكم ، وحكمه ثوريا وبرجوازيا جداً .

٢ — **الجمهوريون :** وتضم هذه الجماعة الراديكاليين من العوام والفلاحين واصحاب الحرف الذين لايزالون يتذكرون أيام الجمهورية الديمقراطيةسنة ١٧٩٢ . وانتقدوا نظام حكم لويس فيليب باعتباره ملكيا وغير ديمقراطي ويخدم مصالح الطبقات الغنية لا المصالح الشعبية والقومية .

٣ — **الاشتراكيون :** تبع بعضهم لويس بلان في مطالبته بوجوب قيامالدولة بتشجيع المصانع التعاونية وضمان مستوى من اجور العمال يناسب حياة هؤلاء ، وآمنوا بالجمهورية الديمقراطية. وتبع بعضهم برودون في دعوته للقضاء على الملكية الخاصة ، وعلى كل حكومة ذات سلطة ، وفي دعوته إلى اقامة نظام جديد على أساس التعاون الاختياري .

٤ – **الكاثوليك :** اراد بعضهم إعادة الملكية الشرعية ، وكان بعضهم لبراليا وافق على المبادىء الثورية في السيادة الشعبية والحرية الفردية . وطالب بعضهم بالتشريع الاجتماعي لصالح الطبقات العاملة . وقد نفر أكثر الكاثوليك من كيزو ولاسيما من قيوده التي فرضها على حرية التعليم الكاثوليكي .

٥ – **البونابرتيون :** وهم الذين كانو يعتزون بذكرى نابليون ويثنون على منجزاته في الداخل والخارج ، وقد ازدروا بصفة خاصة من رغبة الملكية البرجوازية في « السلام بأي ثمن » ومن خضوعها لانكلترا وعدم اهتمامها بالمجد القومي .

ثورة باريس في شباط ١٨٤٨ :

في أواخر ايام حكم لويس فليب لجأ رئيس وزرائه كيزو إلى أساليب غير حرة للمحافظة على الملكية الحرة ضد خصومها العديدين فزور الانتخابات واستخدم الرشوة للحصول على الاكثرية في البرلمان ، وفرض الرقابة على الصحافة وقيد حق الاجتماعات الحرة . ولما حلت سنة ١٨٤٨ اتخذ منصبه صبغة الدكتاتورية أكثر منه وزارة برلمانية .

في سنة ١٨٤٧ شرع دعاة الاصلاح الديمقراطي ، حين اوقفت الرقابة دعايتهم في الصحف ، بالتعبير على مطاليبهم عن طريق اقامة مآدب كبيرة في باريس اعطى الجمهوريون والاشتراكيون الذين حضروا تلك المآدب صبغة ثورية للخطب التي القيت . ولما خشيت الحكومة العاقبة منعت اقامة مأدبة كبرى كان طلاب الاصلاح قد قرروا اقامتها في ٢٢ شباط ١٨٤٨ . فعجل هذا المنع بنشوب الثورة .

في اليوم المحدد لاقامة المأدبة تجمع العمال الغاضبون والطلاب المندفعون في ساحة الوفاق وهم يهتفون مطالبين بالاصلاح . وفي اليوم التالي استمر الهياج وانتشر ، فأمر كيزو رجال الحرس الوطني باعادة النظام والهدوء ولكن رجال الحرس انحازوا إلى الشعب بدلا من اطاعة الاوامر وهتفوا

مع الهاتفين « يسقط كيزو» فاستقال كيزو من الوزارة . وكان من الممكن ان ينتهي الاضطراب لولا ان مفرزة من الجنود الذين كانوا يحرسون مسكن كيزو اطلقوا النار على جمع من المتظاهرين فقتلوا ثلاثة وعشرين وجرحوا ثلاثين . وفي اليوم التالي شوهدت شوارع باريس مسدودة بالمتاريس التي وضعها العمال وملأى باللافتات التي تقول « اقام لويس فيليب فينا المذابح كما فعل شارل العاشر فليذهب ويلتحق بشارل العاشر». وبعد فترة من التردد تنازل لويس فليب لصالح حفيده كونت باريس ولجأ إلى انكلترا .

الاحرار في بريطانيا ١٨٣٠ – ١٨٥٠

قبل سنة ١٨٣٠ كانت حكومة بريطانيا المحافظة (حكومة التوري Tory) تساند التسوية التي تمت في بريطانيا سنة ١٦٨٩ (اى لائحة الحقوق وسيادة البرلمان)، ولكنها اتبعت سياسة محافظة في الامور الداخلية وقاومت كل مطلب في اصلاح البرلمان . قويت هذه المطالب تدريجياً بعد ١٨١٥ ونادى بها بعض الراديكاليين من امثال الفيلسوف جرمي بنثم والاقتصادي جيمس مل تعود قوة النزعات الحرة البريطانية الفعالة الى تزايد عدد اصحاب المصانع من الطبقة الوسطى وتزايد ثروتهم بصورة سريعة وهم من أمثال رجارد كوبدن Cobden وجون برايت Bright الذين كانوا يجمعون الثروات من المكائن الصناعية الحديثة ، ويزداد نفوذهم على العمال في المدن الصناعية مثل مانجستر وبرمنكهام وشفليد وليدز التي اصبحت مدنا كبيرة ولكنها لاتزال محرومة من التمثيل في البرلمان . ولكن حزب المحافظين عارض اى اصلاح برلماني .

في سنة ١٨٣٠ حدثت في باريس ثورة تموز التي قضت على حكم شارل العاشر وأقامت حكومة لويس فليب البرجوازى . وكان لذلك صدى مباشر في بريطانيا . ففي خارج البرلمان اشتدت المطالبة بالاصلاح، وفي داخل البرلمان اظهر بعض المحافظين امارات الخوف . هدد ولنكتن وتوعد ثم استقال من

رئاسة الوزاره . والف لورد كرى Grey وزارة حرة (لبرالية) وقدم لائحة اصلاح برلماني إلى مجلس العموم . وقد هزمت الاكثرية المحافظة تلك اللائحة في اوائل ١٨٣١. حل البرلمان واجريت انتخابات جديدة نال بها لورد كرى وحزبه حزب الاحرار (الويك) Whigl اكثرية في مجلس العموم ، ثم قدم لائحة ثانية للاصلاح إلى مجلس العموم ، ولكل اكثرية المحافظين في مجلس اللوردات هزمتها ورفض الملك وليم الرابع (١٨٣٠ — ١٨٣٧) تعيين عدد كاف من اللوردات الاحرار لتغيير الاكثرية في مجلس اللوردات فاستقال كرى ، واخذ دوق ولنكتن على عاتقه مهمة تأليف وزارة محافظة (توري) .

قام الراديكاليون واصحاب المصانع بتنظيم المظاهرات في المدن الصناعية واثاروا الجماهير ضد الحكومة . في تلك الظروف المضطربة تخلى دوق ولنكتن عن محاولة تأليف وزارة معادية للاكثرية اذ كان المحافظون اقلية في مجلس العموم . ولذلك عاد كرى والاحرار إلى السلطة في مايس ١٨٣٢ ووعد الملك وليم الرابع ، وهو كاره ، بانه عند الضرورة سيعين عدداً كافياً من اللوردات الاحرار الجدد لكي تضمن الحكومة تشريع لائحة الاصلاح في مجلس اللوردات ولكن لم تحدث تلك الضرورة لان اللوردات المحافظين خضعوا ، ووقع الملك على لائحة الاصلاح في حزيران ١٨٣٢.

قانون الاصلاح البرلماني لسنة ١٨٣٢ Reform Act of 1832

بقانون الاصلاح لسنة ١٨٣٢ ، حدثت تغييرات في نظام الانتخابات في بريطانيا :

١ — جردت بعض المناطق الانتخابية في المدن التي تقل نفوسها عن (٢٠٠٠) نسمة من حق تمثيلها في مجلس العموم ، ويطلق عليها اسم الدوائر الانتخابية البالية Rotten ، أما الدوائر التي يتراوح عدد سكانها بين (٢٠٠٠) و (٤٠٠٠) نسمة فقد جردت من احد مقعديها في البرلمان . اعطى بعض المقاعد

التي اخذت بهذه الطريقة إلى مناطق انتخابية ريفية ، واعطى البعض الاخر إلى المدن الصناعية الكبيرة مثل مانجستر وبرمنكهام وشفيلد وليدز .

٢ ــ جعلت شروط التصويت موحدة ومبسطة في جميع مناطق الانتخاب الريفية والمدنية ، وهذا لايعني التصويت العام . وقد خفضت الشروط المالية للانتخاب قليلا اذ منح حق التصويت من كان يملك دكاناً او بيتاً ايراده او ايجاره السنوى عشرة جنيهات .

الحركة الميثاقية (الجارتية) Chartist Movement

كان هناك عدد قليل من الراديكاليين في البرلمان وعدد من عمال المدن خارج البرلمان غير راضين عن قانون الاصلاح لسنة ١٨٣٢ ، بل اعتبروه مجرد خطوة اولى يجب ان تتبعها خطوات اخرى في الطريق الديمقراطية اكتشف عمال المدن ان الاصلاح المذكور لم يزد من اجورهم ولم يخفض من ساعات عملهم بصورة ملموسة ولم يضمن لهم العمل ، ولذلك اعتقدوا انه يمكن الحصول على هذه المكاسب إذا توسع الاصلاح توسعاً جذرياً واذا صارت للجماهير وللطبقات العاملة كلمة مسموعة في البرلمان .

في سنة ١٨٣٨ طالبت جماعة من العمال ، ويؤيدهم راديكاليو الطبقة الوسطى ، بتحقيق ميثاق شعبي People's Charter يضمن لهم:

١ ــ التصويت العام للذكور .

٢ ــ الانتخابات السنوية للبرلمان .

٣ ــ المناطق الانتخابية المتساوية .

٤ ــ التصويت السرى .

٥ ــ الغاء الشروط المالية للانتخابات البرلمانية .

٦ ــ دفع المرتبات لاعضاء البرلمان .

قام دعاة الميثاق هؤلاء بحملة دعائية شديدة بعض الوقت في المدن الصناعية في انكلترا وعقدت الاجتماعات الجماهيرية ، واعدوا العرائض لتقديمها

إلى البرلمان . في البرلمان وقف الاحرار والمحافظون متحدين في رفض العرائض وفي الموافقة على استعدادات الوزارة العسكرية للقضاء على الثورة .

استمر الصخب حتى ١٨٤٨. وفي ذلك الوقت صارت جماهير العمال البريطانيين تهتم بحرية التجارة وبالحركة النقابية اكثر من اهتمامها بالحركة الميثاقية ، ولم يعودوا للمطالبة بالمطاليب الديمقراطية الا بعد عشرين سنة .

الغاء قوانين الحبوب :

طالبت الطبقة الوسطى بالغاء القيود المفروضة على التجارة ، ولا سيما الغاء قوانين الحبوب Corn Laws . في سنة ١٨٣٨ الف اصحاب المصانع « العصبة المناهضة لقوانين الحبوب Anti- Corn-Law League» لاقناع الصناعيين بأن قوانين الحبوب تعرقل نمو التجارة ، ولاقناع الشعب بانها ترفع الاثمان . ولافهام الزراعيين بانها لاتستطيع تثبيت اثمان الحبوب. تزعم العصبة رجارد كوبدن وجون برايت ، وساعدها مالياً الصناعيون أصحاب المصالح . قامت العصبة بدعاية قوية في جميع انحاء البلاد . وعقدت اجتماعات جماهيرية في جميع المدن ، ووزعت المناشير بكميات كبيرة واعدت العرائض وقدمت إلى البرلمان .

ساعدت الطبيعة دعاة الحرية . ففي ١٨٤٥ اتلفت الامطار محصول القمح في انكلترا ، ودمرت الآفات الزراعية محصول البطاطا في ارلندا . وقد مات الفلاحون الارلنديون جوعا بعشرات الالوف ، واضطر العمال الانكليز إلى دفع اعلى الأثمان للحصول على ضروريات الحياة وحدها . كان هناك بعض أعضاء البرلمان الذين اصغوا الى مطالب العصبة .

منذ ١٨٤١ كان المحافظون الاكثرية في مجلس العموم ، وكان زعيمهم سير روبرت بيل Peel رئيسا للوزراء. لم يكن بيل ملاكا زراعيا بل من رجال الصناعة . وفي سنة ١٨٤٦ ، بالرغم من احتجاجات اكثرية حزبه ، ولكن بمساعدة اصوات الاحرار ، حمل البرلمان على تشريع لائحة بالغاء قوانين واقامة حرية تجارة الحبوب .

انشق حزب المحافظين ، بسبب هذا القانون ، إلى جماعتين : اكثرية زراعية واقلية صناعية (الصناعية جماعة بيل) . وعاد الاحرار إلى السلطة واعطوا الحرية للصناعة .

ثورات ١٨٤٨ الحرة

بالرغم من تعاون روسيا وبروسيا والنمسا ضد الحريات ، وبالرغم من حذر مترنيخ ، زاد عدد الاحرار في اوربا الوسطى وزادت فعالياتهم السرية.

كان بعض الاحرار متأثرين بفلسفة التنوير المعروفة في القرن الثامن عشر، وايد بعضهم الثورة الفرنسية ، وبعضهم استفاد من اعمال نابليون بونابرت ، وتأثر البعض الآخر بما كان يجري في بريطانيا ، وتأثر آخرون بالثورات الوطنية ضد نابليون، وتأثر آخرون بروح التجدد او بالعداء الشخصي للتقاليد.

وكان أكثر الأحرار من مثقفي الطبقة الوسطى ، ولكنهم وجدوا حلفاء لهم بين الملاكين الانسانيين ورجال الدين التقدميين وبين أصحاب الحرف وسكان المدن بوجه عام .

انتشر تيار الثورة الذى بدأ في فرنسا في شباط ١٨٤٨ حتى شمل جميع أوربا الوسطى . فبعد أسبوعين من ثورة شباط ١٨٤٨ المذكورة فر مترنيخ من وجه عاصفة مشابهة في فينا . بعد أكثر من شهر بقليل اجتاحت الثورات الحرة النمسا وهنكاريا وبوهيما وايطاليا والمانيا والدانمرك وهولندا .

سارت الاتجاهات الحرة جنباً إلى جنب مع الشعور القومي . فلما انتصرت المبادىء الحرة في جميع انحاء اوربا الوسطى وسيطر الاحرار على النمسا وبروسيا والدويلات الالمانية الاخرى كان من الطبيعي ان تتخذ الخطوات لتحويل الاتحاد الالماني غير الوثيق Confederation ، الذى اقامه في ١٨١٥ حكام المانيا ثم صار اداة لتنفيذ سياسة مترنيخ الرجعية ، إلى اتحاد وثيق Union حر وقومي .

في النصف الثاني من سنة ١٨٤٨ انحسرت الثورات في اوربا الوسطى . ومع ذلك تركت موجة المد الثورى لسنة ١٨٤٨ بعض الرواسب الحرة في اوربا ففي الامبراطورية النمساوية الغيت القنانة ، وبقي نظام حكم دستورى في سردانيا وسويسرا وهولندا والدانمرك وبروسيا . كان الحكم في سويسرا

وحدها ديمقراطياً . والقليل من البقية الباقية حراً حقاً في سردنيا بقى الدستور الذى أصدره الملك شارل البرت في آذار ١٨٤٨ ، وقد تمسك به فكتور عما نوئيل الثاني بالرغم من احتجاجات النمسا ، وبقيت سردنيا الدولة الايطالية الدستورية الحرة الوحيدة خلال خمسينات القرن التاسع عشر .

كان الدستور الهولندى الذى منحه الملك وليم الثاني في ١٨٤٨ والدستور الدانمركي الذى نشره فردرك السابع ملك الدانمرك ١٨٤٩ أقل حرية من دستور سردنيا لم يجعلا الوزارة مسئولة أمام البرلمان . ومن جهة ثانية اتفقت هذه الدساتير مع الدستور البريطاني بوضعها شروطاً مالية لاجل ممارسة حتى التصويت ، وبذلك أصبحت البرلمانات في هذه الدول تمثل الطبقات العليا والوسطى .

بهذا المعنى كان الدستور البروسي الذى أصدره فردرك وليم الرابع في ١٨٥٠ حراً أيضاً . فقد تظاهر باقامة انتخابات مجلس النواب في البرلمان البروسي على اساس مبدأ التصويت العام للذكور ، ولكن باتباع نظام الثلاث طبقات في الانتخاب غير المباشر . نظام الثلاث طبقات في الانتخاب قسم المنتخبين إلى ثلاثة أقسام : القسم الاول الذى يدفع ثلث الضرائب يمثله ثلث اعضاء مجلس النواب وعدد هذا القسم قليل جداً لانه يمثل اغنى الاغنياء والقسم الثاني هو الذى يدفع الثلث الثاني من الضرائب ويمثله اعضاء مجلس النواب وعدد هذا القسم متوسط نسبياً لأ نه يمثل الاغنياء الاخرين والقسم الثالث هو الذى يدفع الثلث من الضرائب ويمثله الثلث الثالث من اعضاء مجلس النواب وعدد هذا القسم كبير نسبياً لأ نه يمثل بقية الذين يحق لهم التصويت.

استمر العمل بهذا الدستور البروسي خلال فترة ١٨٥٠ — ١٩١٨.